

العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

الأوبئة في التاريخ الإسلامي وكيفية تعامل المسلمين معها

أ. ريم علي عبد الرازق / عضو هيئة تدريس / قسم التاريخ / جامعة بنغازي



## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

### الأوبئة في التاريخ الإسلامي وكيفية تعامل المسلمين معها

#### ملخص البحث

شكلت الأوبئة تهديداً كبيراً للمسلمين في العصور المختلفة، بل حصدت أرواح الناس حصداً، تاركة وراءها ما يمكن وصفه بكوارث كبرى تركت بدورها آثاراً سلبية بالغة القسوة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والعمري، من ثم السياسي في نهاية المطاف؛ فكانت موجات متتالية من أوبئة الطاعون قد ضربت البلاد الإسلامية وتركت آثاراً مدمرة لأوجه الحياة، وفي هذا البحث ستكون الدراسة عن أسباب الوباء وطرق العدوى وكيف تعامل معه المسلمون في التاريخ الإسلامي .  
الكلمات المفتاحية : الأوبئة - التاريخ الإسلامي - الطاعون .

#### Abstract

epidemics pose great threat to Muslim ifferens in dt jurisprudential books ,and given that these epidemics have left Eras .reaped people's lives, leaving behind what could be described as major disasters that in turn left extremely harsh negative effects on the social ,economic ,and urban levels ,and epidemics struck Islamic countries. and its destructive effects on aspects of life ,and in this research ,the study of the epidemic ,the methods of infection ,and how Muslims dealt with it in Islamic history will be studied. Arabs and Muslims have sufferad from epidemics and pandemics at different stages in their history ,the most important of which was the plague, whose repercussions included all aspects of life ,economic, social and religious .historians who contemplated those events presented various pictures of those epidemics and their effects and consequences throughout the world such as ibn hajar al-asqalani,ibn adhari and others as I discussed in this there are many historical and their effects in Islamic community and humanity as a whole ,we must address them and pay attention to their study.

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

### المقدمة :

عانى العرب والمسلمون من الأوبئة و الجوائح في مراحل مختلفة من تاريخهم، كان أهمها الطاعون الذي شملت تداعياته كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية و الدينية.

فلا غرابة إن نجده حاضراً بطبيعة الحال، في مصنفات التاريخ ، كما في نوازل الفقهاء وكتب الحكماء ولاشك التعاطي مع عارض خطير كالتطاعون يعكس لنا أنماط التفكير المختلفة في سياقات تاريخية ، متباينة، فكيف نظر أسلافنا الى الوباء؟. لقد قدم المؤرخون الذين عاصروا تلك الأحداث صوراً متنوعة من تلك الأوبئة وآثارها وعواقبها في سائر الأرض مثل ابن حجر العسقلاني وابن عذاري وغيرها كما بحث في ذلك العديد من الكتب التاريخية والفقهية ونظراً لما تركت تلك الأوبئة من آثار في التاريخ الإسلامي و لانعكاسها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الإسلامي والإنسانية جمعاء ، فلا بد من تناولها والاهتمام بدراستها.

### خطة البحث :

لقد قسمنا البحث الى مقدمة ومحورين وخاتمة أما المحور الأول فكان تعريف الوباء لغة واصطلاحاً وكذلك أسباب الطواعين والأوبئة وعوامل انتشارها وطرق وأساليب الوقاية من الطواعين والأوبئة أما المحور الثاني فسيكون تعامل علماء مع الأوبئة ونبذة عن الأوبئة التي واجهت المسلمين في تاريخهم وآثارها السياسية والدينية للأوبئة في التاريخ الإسلامي .

### تعريف الوباء ، الطاعون :- لغة واصطلاحاً :

الوباء عند ابن منظور : الطاعون لغة : " المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد له الأمزجة والأبدان"<sup>(1)</sup> .  
وباء الجمع : أوبئة هو انتشار مفاجئ وسريع لمرض في رقعة جغرافية ما في معدلاته في منطقة معينة<sup>(2)</sup> ..  
الطاعون لغة : يقال عن الشخص طعين أن أصابه الطاعون، وطعن الشخص فهو مطعون، وقد جاءت كلمة طاعون على وزن فأعول من الطعن، فاستخدموه بمعنى غير معناه الأصلي، لكنه يعطي دلالة قريبة منه ليدل على الموت الذي يصيب جماعة من الناس فشيخ بينهم كالوباء<sup>(3)</sup> .

أما المعنى الاصطلاحي، فهو قروح جسدية تخرج وتتمركز في مواضع مختلفة من الجسم ، كالأيدي أو المرافق والأبواب أو غيرها ، ويصحب ذلك ألأم شديدة ، مع ما يرافقها من أعراض أخرى كالقيء وخفقان القلب<sup>(4)</sup> ، وقد عرف ابن حجر العسقلاني الطاعون بقوله : " هو المرض الذي يفسد الهواء به وتفسد به الأبدان والأمزجة، وهو مادة سمية تحدث ورماً وقد فرق العلماء بين الوباء والطاعون ، فعُدو الطاعون وباء وليس بالعكس ، حيث إن الطواعين في الغالب غير معلومة المصدر فيما يكون مصدر الوباء معروفاً"<sup>(5)</sup> .

يرى ابن القيم أن بين الوباء والطاعون عمومياً وخصوصاً، فكل الطاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون فإنه واحد منها ، وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام " الطاعون شهادة لكل مسلم"<sup>(6)</sup>

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

لعل أول طاعون أو وباء عام ذكرته المصادر الإسلامية هو طاعون وقع في بني إسرائيل بعد أن امتنعوا عن امتثال أوامر الله وبدلو كلماته قال تعالى ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)) (7).

### أسباب الطواعين والأوبئة وعوامل انتشارها :

أدى غياب المعرفة العلمية الدقيقة إلى تباين آراء الأطباء والفقهاء في شأن أسباب الطواعين والأوبئة وبين تعليقات ربطت بين فساد الهواء في الطبيعة وظهور الطواعين والأوبئة وبين تعليقات ركز عليها الفقهاء تلتخص في عدم التقيد بأحكام الشريعة، ومن هذه الأسباب:

### أولاً: أسباب طبية :

اعتمد الأطباء المسلمون نظرية الطبيب اليوناني جالينوس في شيوع الأوبئة إلى رطوبة وفساد الهواء الذي يؤدي إلى فساد الأمزجة والأبدان، ومن ثم أكد الأطباء المسلمون على أنّ التوسع في العمران يؤدي إلى إحداث العفن والرطوبة الفاسدة في الجو، وبالتالي يتسبب في وقوع الأوبئة المهلكة كالطواعين والحميات واستناداً إلى تلك النظرية فسّر ابن خلدون أن ظهور الأوبئة ناجمة عن كثرة العفن والرطوبة الفاسدة، فإذا اشتد فساد الهواء وقع المرض في الرئة، في حين إن ابن سينا رفض التخلي عن نظرية جالينوس ألمح إلى أن فساد الهواء هو المباشر للوباء. (8)

وهذا ما كتبه المؤرخ والحكيم الأندلسي ابن الخطيب (ت1374م) في رسالته مقنعة السائل عن المرض الهائل خلال تفشي طاعون 1374 المعروف بالطاعون الأسود الذي قضى على ثلث سكان أوروبا قائلاً : لما كان الحكم على الشيء فرعاً من تصوره، وجب إن نبين هذا المرض، فنقول مرض حاد، حار السبب، سمي المادة، يتصل بالروح بدءاً بوساطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحبل رطوبات إلى السمية فتبعه الحمى ونفت الدم له سبب أفضى: وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم ويأخذها الطبيب مسلماً عنهم وسبب، أدني وهو فساد الهواء الخاص بمحل ظهوره ابتدأ أو انتقالاً (9)

### أسباب دينية وأخلاقية :

أما مذهب الفقهاء والمحدثين في سبب تمكن الطواعين من الناس وفتكها بهم فيرجع إلى كونه وخزة من وخزات الجن؛ اعتماداً على الحديث الذي ورد مسنداً إلى أبي يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكر الطاعون، فذكرت أن النبي صلى عليه وسلم قال: "وخزة تصيب أمتي من أعدائهم من الجن" ورد جمهور الفقهاء على مزاعم الأطباء بأن فساد الهواء هو المسبب المباشر للطواعين، مستدلين بأن الطاعون يقع في أعدل الفصول وفي أفسح البلاد وأطيبها هواء وماء، ولو كان سببه الهواء؛ لعمّ الناس جميعاً، والحيوانات كلها، فالمشاهد والمعائن والمحقق من أخباره أنه يصيب بعضهم الآخر بيتاً مجاوراً لهم أصلاً، ويدخل بيتاً ولا يصيب إلا أهل البيت فحسب، كما جادل الأطباء الفقهاء والمحدثين بأن لو كان مبدأ الطاعون وخز الجن فلم يقع أحياناً في شهر رمضان حيث الجن والشياطين مصفدة في أغلالها، لا تستطيع نفعاً لغيرها ولا ضرراً وبعيداً عن الجدل بين الأطباء والفقهاء شاع بين العوام

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

الاعتقاد بأن الطاعون عقاب إلهي جماعي يصيب الناس جراء انشغالهم بالدنيا وانهمالكهم في اللذات والمعاصي وإهمالهم الفروض والطاعات، وبسبب المنكرات التي يقترفونها<sup>(10)</sup>

### انتقال العدوى :

على الرغم من أن مسألة انتقال العدوى تضاربت بشأنها المواقف مابين الإثبات والنفي، وذلك لما ورد من نصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام يفهم منها إثبات العدوى كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة كما ورد في صحيح البخاري أيضا "لا عدوى ولا طيرة" وهذه النصوص ظاهرها التعارض، ولكن تعارض في حقيقة الأمر، وقد أدلى العلماء في ذلك بما يزيل هذا التعارض، فقال البيهقي كانت العرب في الجاهلية تعتقد العدوى ويقولون: إنه إذا خالط المريض الأصحاء أصيبوا بمثل مرضه، فقال عليه الصلاة والسلام "لا عدوى ولا طيرة" والمعنى نفي العدوى على الوجه الذي كان يعتقد المشركون في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله، فالخلطة قد تؤثر، وقد ينتقل المرض من المريض إلى الصحيح بسبب الخلطة ولكن بإذن الله وأمره. فالعدوى إذن حاصلة ولكنها بتقدير الله وهذا أمر لا ينبغي إن يختلف فيه اثنان، وهذه الجرائم التي تعمل، إنما تعمل أيضا بتقدير الله، والله يسلطها على من يشاء، ومن واجبتنا نحن - المسلمين - ألا نلقي بأنفسنا إلى التهلكة وتأخذ بالأسباب، ونتقي بما يحفظنا من الأمراض من لقاح وتطعيم وكشف الصحي والمحافظة على النظافة.<sup>(11)</sup>

### طرق وأساليب الوقاية من الطواعين والأوبئة :

على الرغم من أنّ الطواعين والأوبئة ليست بالظاهرة الجديدة الطارئة، وعلى الرغم من العقائد المطمئنة باعتبار الطواعين ابتلاء وامتحاناً، بل ورحمة يُرفع ضحاياها إلى مرتبة الشهداء، لكن الواقع يخالف ذلك، حيث إن مشاعر الخوف والرعب تظل مسيطرة على النفوس عند حدوث الكارثة، وذلك من أجل مواجهة الخطر للجميع يطرقون كل الأبواب لمواجهة الأوبئة، وتعددت هذه الطرق ومنها:

### الوصفات الطبية :

في مثل هذه الظروف يصبح البحث عن الوصفات الطبية للوقاية من المرض هو الشغل الشاغل للجميع، ومن بين هذه الوصفات عملية تطهير الهواء الفاسد وتجديد هواء محل السكن، وذلك باستعمال الكافور والمسك والعنبر، ولعل عملية تطهير الهواء هذه قريبة الشبه بما نراه اليوم من تعقيم الشوارع برش المبيدات والمعقمات بقصد مكافحة فيروس كورونا.<sup>(12)</sup>

### الفرار الفردي والجماعي:

وعلى الرغم من أن موقف الفقهاء يقتضي ووقائياً بملازمة السكان للبلد المصاب والامتناع عن مغادرته من ناحية، ومن ناحية أخرى من الدخول إليه أسوة السلف من الصحابة، كما في صحيح البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد عن النبي أنه قال " إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها، فلا تخرجوا منها " العزلة والحجر الصحي هذه العزلة هي أيضا

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

إجراء وقائي وإيمان ثابت بوجود العدوى، ويمارسها عدد كبير من الناس وذلك بالامتناع عن حضور الجنازات وزيادة المصابين، وليس هذا بل تعددت تشمل أوجهًا أخرى من الحياة العامة خاصة المواضيع التي تكون ملتقى عدد كبير من الناس مثل المساجد وفي ظروف صعبة للغاية ونتيجة الحسائر البشرية الفادحة، والعجز الفادح للطب وقلة نجاح الوسائل الأخرى، لن يبقى سوى الالتجاء الى الله لدفع النقمة، وعلى الرغم من إن دواء الأطباء والفرار والعزلة من بين أساليب الوقاية، ولكن علينا ألا ننسى أن العدوى بتقدير الله، والله وحده له قدرة على الإحياء والإماتة، فلا بد إذن من الرجوع الى الله والتقرب بالصلاة والعبادة. (13)

### كيف تعامل علماء المسلمين مع الأوبئة

كان للعلماء والأطباء العرب القدامى مسيرة طويلة مع مقاومة الوباء، وحاول بعضهم تقديم نصائح للتعامل مع الأوبئة، ولعل بعضهم يتم تدريس ما قدموه للبشرية من علم وكان من هؤلاء الطبيب العربي أبو بكر الرازي (235-320هـ) الذي شرح في "كتابه الحاوي" تفصيل مرض الجداز وطرق عدواه، ومن أشهر مؤلفاته المبتكرة كتابه في الجدري "variola, small - pox" والحصبة "measles"، وهو كتاب من نوعه في هذا الموضوع، وقد ميز الرازي بين المرضين ووصف بدقة مميزاتهما وتشخيصهما، وهو يلح في الإشارة إلى أهمية الفحص الدقيق للقلب والنبض والتنفس والبراز عند مراقبة تطور المرضى. وقد لاحظ أن ارتفاع الحرارة يساعد على انتشار الطفح eruption، كما أشار الى وسائل وقاية الوجه والفم والعين وتجنب الندوب الكبيرة big scars. (14) وقدم ابن سينا (370-428هـ) نصائح للوقاية من الطاعون الذي يصفه "الموت الأسود" تشابهه إلى حد كبير مع النصائح المقدمة حاليا للوقاية من فيروس كورونا المستجد وهو ما دفع البعض للحديث عن "تنبؤ" ابن سينا بفيروس كورونا منذ 10 قرون. (15)

يقول ابن سينا توصل إلى طريقة لعزل الناس لمدة 40 يوما، ومن هنا جاءت فكرة الحجر الصحي، وانتقلت إلى إيطاليا عبر تجار البندقية في القرن 14 حيث كانوا يعزلون ركاب السفن في جزر قريبة لمعرفة إذا كان لديهم أعراض الطاعون، قبل أن يسمح لهم بالوصول لشواطئ المدن أثناء الوباء أو الموت الأسود الذي اجتاحت أوروبا 1347-1352م (16).

### تعامل مع الأوبئة التي واجهت المسلمين في تاريخهم

كانت البداية في الخلافة الراشدة عندما انتشر الوباء "طاعون عمواس" الذي سمي على اسم بلدة صغيرة في ضواحي القدس، وهو يعد امتدادًا لطاعون جيستان الذي ظهر في مصر عام 541م وربما انتقل إليها من مكان مجهول ثم انتقل عبر ميناء الإسكندرية الى القسطنطينية (عاصمة الإمبراطورية البيزنطية) أو روما الشرقية في هذا الإمبراطور ولذلك سمي باسمه والذي أصيب به وتعافى منه .

كما امتد الطاعون إلى الإمبراطورية الساسانية ومعظم المدن المطلة على البحر الأبيض المتوسط وقد حصد العديد من الأرواح ولم يتخذ الناس أي إجراءات حازمة ضد المرض؛ مما أدى انتشار المرض آنذاك . وهو وباء وقع في بلاد الشام في أيام خلافة عمر بن الخطاب سنة 18هـ/ 640م بعد فتح بيت المقدس ومات به كثير من المسلمين ومن صحابة رسول عليه السلام

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

ويقول الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك "دخلت سنة ثمان عشرة، فيها كان طاعون عمواس، فعانى منه الناس فتوفي أبو عبيدة بن الجراح، هو أمير الناس وقائد الجند، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهل، وأشرف الناس ويقول الطبري أنه لما اشتد الوجع على الناس قام أبو عبيدة خطباً، فقال أيها الناس " إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد وموت الصالحين قبلكم وأن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له من حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل " (17)

وقد قتل مرض عمواس المدمر الآلاف من المسلمين، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه 13 - 23 هـ وعرفت بمجاذبة طاعون عمواس، وهو وباء وقع في الشام سنة 18 هـ بعد بيت المقدس وذلك لأن الطاعون نشأ بها أولاً ثم انتشر في بلاد المسلمين فنسب إليها. وكان الفاروق عمر بن الخطاب يتعامل مع ذلك البلد في منتهى الحذر، حيث لم يدخل هو ومن معه إلى الشام، كما أخرج المعافين من أرض الوباء فضلاً عن تحمل المسؤولية كاملة، بعد جلاء هذا الوباء رحل إلى الشام وأشرف على حل المشكلات وتصريف تبعات هذه الأزمة.

في حين رفض الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح الخروج من الشام، وقد كان والياً عليها وقد عمل بما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام " ليس من أحد يقع الطاعون فتمكن في بلدة صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد " وقوله أيضاً " إذا سمعتم به الطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها، فلا تخرجوا فراراً منه " (18).

وشهدت الإجراءات التي قام به الخليفة والوالي عمرو بن العاص لمواجهة الوباء القاتل في الشام، إجراءات شبيهة بالحجر الصحي، حيث أخذ ابن العاص بنصيحة عمر بن الخطاب بالخروج بالناس إلى الجبال؛ لأن هذا الوجع إذ يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه في الجبال، وبتلك الطريقة استطاعوا القضاء على الوباء الذي شكل خطورة كبيرة على الدولة الإسلامية في تلك الفترة والأخذ بأسباب الوقاية والقضاء عليه. (19) كما حدث الطاعون الجارف في البصرة سنة 69 هـ زمن عبد الله بن الزبير وسمي بالجارف لكثرة من مات في وفي عام 87 هـ وقع طاعون في العراق والشام، سمي بطاعون الفتيات؛ لأنه وقع بالنساء والعذارى أولاً فوقع بالنساء قبل الرجال، بينما سماه البعض بطاعون الأشراف لكثرة ما توفي فيه من أشراف القوم وأكابرهم.

وكان آخر ما حدث من الطواعين في العصر الأموي هو طاعون مسلم بن قتيبة في سنة 131 هـ والذي سمي باسم أول من مات به، وقد وقع هذا الطاعون في البصرة واستمر لثلاثة أشهر واشتد في رمضان حيث كان يخص في بعض الأيام ألف جنازة. (20).

وتحدث ابن كثير أنه عندما اجتاحت المغول بغداد ودمروها في سنة 656 هـ/ 1258 م كثر القتلى في الشوارع فمات خلق كثير من تغيير الجو وفساد الرياح، فاجتمع الناس على الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون (21)

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

وفي العصر المملوكي قد تعرضت بلاد الشام لطاعون اجتاح معظم مناطقها في عام 748هـ وقد أطلق اسم الطاعون الأعظم لسعة انتشاره وشدة فتكه ، وقتل العديد من الناس كما انتشر في حلب داء اسمه الفناء العظيم في عام 795هـ وقد حصد 150 ألف شخص.<sup>(22)</sup>

وتحدث ابن كثير أنه عندما اجتاح المغول بغداد ودمروها في سنة 656هـ/ 1258م تعطلت المساجد والجماعات ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها والقنلى في الطرقات وتغيّر الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء فاجتمعت على الناس الوباء والفناء والطعن والطاعون.<sup>(23)</sup>

أما المغرب العربي ، فمر في تاريخه كثير من الأوبئة والجماعات في عصر المرابطين والموحدين ولعل أهمها طاعون عام 571هـ الذي انتشر في بلاد المغرب والأندلس ويعدّ أهم طاعون عرفه الموحدون؛ لما له من نتائج كارثية، فلم يسلم منه أحد، حتى أربعة من أمراء من أخوة الخليفة يوسف بن يعقوب ماتوا فيه ، بينما كان يموت بسببه مئات من عامة الناس كل يوم.<sup>(24)</sup>

كما ذكر ابن عذارى المراكشي في تاريخ الأوبئة في الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أنه في عام 498هـ/ 1105م تنامي القحط في بلاد الأندلس و العدو حتى أيقن الناس بالهلاك، في تلك الفترة أصيب المغرب والأندلس بسلسلة من القحوط والجماعات في الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي حيث اجتاح جفاف شديد مدينتي فارس وغرناطة عام 524هـ/ 1130م وفي عام 526هـ/ 1132م اشتدت المجاعة والوباء بالناس في قرطبة وكثير الموتى وبلغ مد القمح خمسة عشر ديناراً.<sup>(25)</sup>

### الآثار السياسية والدينية والاجتماعية للأوبئة في التاريخ الإسلامي :

كانت للطواعين أخطار كثيرة تصيب الأمم والشعوب؛ فتهلكها وتهدد أمن الدول وتؤذّن بزوالها ، فهي بلاء من الله الذي يصيب من يشاء ، وسيوفه المتسلطة على عباده وكان الوباء خطراً على أمن الدولة فلقد كان طاعون عمواس هو الأخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفاً بينهم خيرة أمرائهم .

أن الوباء الذي انتشر في الأندلس و العدو أعقب كارثة القحط وهلاك عدد كبير من الناس فأدى إلى مضاعفات سكانية واقتصادية بالمغرب والأندلس، وكان بمثابة الشرارة المهددة لسلسلة من الكوارث الطبيعية المتلاحقة.<sup>(26)</sup>

وفي العصر المملوكي، فقد تعرضت بلاد الشام لطاعون اجتاح معظم مناطقها في 748هـ وقد أطلق عليه اسم الطاعون الأعظم؛ لسعة انتشاره وشدة فتكه، وأفنى هذا الطاعون سكان مدن حلب ودمشق والقدس والسواحل كما انتشر في حلب باسم الفناء العظيم، ومن الناحية الاجتماعية أدى إلى اختلال التركيبة السكانية، الذي أدى بدوره إلى تباين كبير في الكثافة السكانية بين المدن والقرى، وإذ إن كثيراً من القرى اختلفت تماماً بفعل هذا الوباء، و نتج عنه تغيير ديموغرافي ، حيث قل عدد الفلاحين ، فحدث نقص في المنسوجات والمحاصيل الزراعية والحيوانية ونتج عن ذلك كله غلاء شديد في الأسعار وزادت الأوضاع الاقتصادية



## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

سوءاً ولجأ بعض ضعاف النفوس من التجار وأرباب البضائع إلى استغلال الأزمة باحتكار السلع الأساسية لزيادة ثروتهم ، فيما مال بعض المحتاجين والمعدمين إلى السرقة والاحتيال ؛ الذي أدى بالضرورة إلى اخيار أخلاقي في المجتمع.<sup>(27)</sup>

وتحدث ابن كثير أنه عندما اجتاحت المغول بغداد ودمروها في سنة 656هـ/1258م تعطلت المساجد مدة شهرين ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت أربعون يوماً و بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد والقنلى في الطرقات ، وقد سقط المطر فتغيرت صورهم فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى الهواء وسرى إلى بلاد الشام.<sup>(28)</sup>

من الناحية الدينية أدى هذا الوباء إلى هلاك الكثير من الأتقياء ورجال الدين والعلماء والصالحين ، فشكل ذلك فراغاً في المرجعية الدينية حتى أن الناس بدأوا يلجؤون في تلك الفترة إلى الشعوذة والسحر؛ حتى يسدوا الفراغ الروحي لديهم ولم تنسَ الناس التقرب من الله والدعاء إليه في تلك الأوقات العصبية ، فأخذ أهل الصلاح والعباد بين الناس يتوبون إلى الله ويستغفرونه، وأكثروا من الإخلاص في العبادات ، وابتعد الناس عن ارتكاب الفواحش والمنكر .

### الخلاصة :

نما سبق نعرف أن الإنسان في نظر الإسلام أعظم وأكرم وأشرف مخلوق على وجه الأرض، وقد بين الإسلام للناس جميعاً بأن لكل داء دواءً ولكل مرض شفاءً علمه من علمه، وجهله، حسب العصور والأزمان وتطور الأدوية والعلاج والوسائل الطبية ومن هنا يعيدنا هذا إلى البحث الى تلك الوسائل التي اتبعت في التاريخ الإسلامي.

ويقودنا هذا الحديث إلى تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام في ما يخص العزل الصحي والحجر المنزلي ، إذ منع الصحابة من الدخول إلى البلدة المصابة بالطاعون ، ومنع كذلك أهل البلدة من الخروج منها ، وكان حكم الفرار من الزحف من كباثر الذنوب ، فيما جعل للصابر فيها أجر الشهيد ، ولذلك يجب التقيد بسيرة خير الأنام سيدنا محمد عليه السلام وتجنب أماكن العدوى والالتزام بالحجر الصحي وفق الإجراءات التي تحددها الحكومة والقوانين . وكذلك العناية الكبيرة بالنظافة المتمثلة في نظافة الجسد التي تتحقق بالاستنجاء والسواك والوضوء والغسل وتقليم الأظافر ونظافة الثياب كما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتغطية آنية الطعام والشراب وكذلك نظافة مصادر المياه ونظافة الأماكن العامة

### أهم النتائج هذا البحث:

1- أكد الإسلام تأكيداً جازماً بالمحافظة على الصحة ، ومقاومة الأمراض، وأمر بالوقاية قبل المرض، وبالعلاج بعد المرض وحذر من العدوى، وأمر بالاحتراز والوقاية والعزل الصحي من الأوبئة، فالإسلام يحرص على سلامة الإنسان بطريقة لا نظير لها في أي دين من الأديان أو في أي حضارة من الحضارات، فالنظافة في الإسلام ركيزة أساسية للحفاظ على الصحة العامة، وهي عبادة وقربة ، وتأكيداً على أهميتها القصوى فقد تصدر باب الطهارة في كتب الفقه الإسلامي.

2- وكذلك وجوب معرفة أسباب الطواعين وعوامل انتشارها منها كالأسباب الطبية و الدينية والأخلاقية وانتقال العدوى وأساليب الوقاية والعلاج من الأوبئة

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

3- ورأينا كيف تعامل الخلفاء مع الأوبئة وما الإجراءات التي اتخذوها في ضوء العقيدة الإسلامية وانعكاساتها الاجتماعية والسياسية والروحية

4. يغرس الإسلام في نفوس أتباعه الرضا والقناعة والصبر والمصابرة على ما أصابهم

5. يأمر الإسلام بالوقاية والحماية من خلال الطب النبوي والوقائي

### التوصيات

إن هذا الموضوع من الموضوعات المهمة في الحضارة الإسلامية وخاصة انتشار الأوبئة وتأثيراتها في المجتمعات والتأمل في الكيفيات التي واجه بها إسلافنا الجوائح، مهمة نافعة للبحث الأكاديمي في الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم بسبب هذا الوباء وهذا ما يحفزنا لتخصيص دراسات معمقة في تاريخنا السياسي والاجتماعي، بالاعتماد على مادة تراثية، طبية وعلمية وتاريخية ونوصي بالدراسات أكثر حتى نصل بدراسة أعمق في هذا المجال.

العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

الهوامش

- (1) ابن منظور ، (1306)لسان العرب ،مادة طعن، بولاق
- (2) المعجم الوسيط (2004م)طعن،مكتبة الشروق الدولية
- (3) نصير بهجت فاضل، الطواعين في صدر الإسلام والخلافات الاموية ، مجلة كركوك ،ع2، الدراسات التاريخية ،ص1
- (4) صحيح مسلم ، بشرح النووي ج14،ص204.
- (5) ابن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق أحمد عصام ، الرياض ، دار العاصمة ص23
- (6) صحيح البخاري ،ج10،ص180.
- (7) سورة البقرة اية 59
- (8) ابن خلدون،(1986م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،ص234.
- (9) ابن الخطيب ،(2015م) مقنعة السائل عن المرض تحقيق حياة قارة،دار الأمان،الرباط ،د.ت ص65.
- (10) راغب السرجاني ، الطواعين والأوبئة في التاريخ الإسلامي ، مقال قصة الإسلام ،2020م،ص1
- (11) البيهقي، (2003م)أحاديث السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، ج5،ص89.
- (12)السرجاني ،المرجع السابق ،ص3
- (13)العسقلاني ،المصدر السابق ،ص28.
- (14) دياب ،(1992م) ،مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية،الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ،ص185-186.
- (15) محمد عبد الرحمن ، ، كيف تعامل علماء المسلمين مع الوباء،اليوم السابع،القاهرة ،2020م،ص192.
- (16)دياب ،المرجع السابق ،ص192.
- (17) الطبري ،(1966م) تاريخ الرسل والملوك، القاهرة ، 1969م ج4،ص50
- كذلك الواقدي ، (1984م)مغازي الرسول ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، 1984م ،ص231.
- (18)صحيح البخاري،ج10 ص179.
- (19)فاضل ،المرجع السابق ،ص106.
- (20)المرجع السابق،ص106.
- (21) ابن كثير، (1988م)البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ،ج203،ص13.

العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

- (22) الطراونة، (2010م) الأوثنة وأثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة ، ع3، المجلة الأردنية ، ص47.
- (23) ابن كثير ،المصدر السابق، ج13، ص203.
- (24) بنمليح عبدالإله ،، عرض كتاب جوائح وأوثنة في عهد الموحدين ، ع2، الجمعية المغربية للبحث العلمي ، 2002م ص.124.
- (25) ابن عذاري(1950م) ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، بيروت ص 320 .
- (26) ابن عذاري،المصدر السابق، ص321.
- (27) الطراونة،المرجع السابق، ص47-48.
- (28) ابن كثير،المصدر السابق، ج13، ص203.

## العدد الثاني والخمسون / يوليو / 2021

### قائمة المصادر والمراجع

أولاً:- القرآن الكريم

ثانياً:- المصادر

- ابن حجر العسقلاني ، الحافظ أحمد بن علي :
- بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق أحمد عصام ، الرياض ، دار العاصمة د.ت
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة دار الكتب العلمية، 1986م .
- ابن الخطيب ، ابو عبدالله محمد بن مقنعة السائل عن المرض تحقيق حياة قارة، دار الأمان، الرباط، 2015م
- ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، بيروت ، 1950م .
- ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1980م . ابن منظور ، أبو الفاضل جمال الدين ، لسان العرب ، بولاق 1300م .
- البيهقي، أبو الفضل، أحاديث السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، د.ت.
- الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة ، 1969م .
- المعجم الوسيط ، طعن، مكتبة الشروق الدولية ، 2004م
- الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر ، مغازي الرسول ، تحقيق مارسدن جونس ، بيروت ، 1984م .
- صحيح مسلم ، بشرح النووي ، صحيح البخاري .

ثالثاً : المراجع والدوريات :

- السرجاني، راعب، الطواعين والأوبئة في التاريخ الإسلامي ، مقال قصة الإسلام، 2020م
- الطراونة ، مبارك، الأوبئة وأثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة ، ع3، المجلة الأردنية ، 2010م.
- دياب ، مفتاح، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس، 1992م
- عبدالإله ، بنمليح ، عرض كتاب جوائح وأوبئة في عهد الموحدين ، ع2، الجمعية المغربية للبحث العلمي ، 2002م .
- عبد الرحمن ، محمد ، كيف تعامل علماء المسلمين مع الوباء، اليوم السابع، القاهرة، 2020م
- فاضل ، نصير بجمت ، الطواعين في صدر الإسلام والخلافات الاموية ، ع2، مجلة كركوك ، الدراسات التاريخية ، 2010م.